ISSN: 2706-6495

# قراءة سيميولوجية في أسماء شخصيات رواية (اللص والكلاب)

Simiological reading in the names of the characters of the novel "thief and dogs"

**اعداد الباحث: عبدان عبد الفتاح**

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ابن طفيل-القنيطرة – المملكة المغربية

Email: abdansafi2012@gmail.com

**الملخص:**

يعتبر علم السيميائيات علما حديثا قدّم خدمات جليلة للدراسات النقدية من أجل استكناه النصوص الإبداعية وفق منظور جديد وتأويل دلالاتها الحاملة لرسائل ثقافية ورؤية عميقة لكتابها. ولا شك أن الأديب الرفيع ينتخب ألفاظه بعناية فائقة لتشييد لبنات إبداعه خطوة خطوة، فلا يدع مجالا للعبث والفوضى، الشيء الذي جعل ناقدا بارزا كرولان بارت يصرح أن كل كلمة في النص الأدبي علامة، وبالتالي فهي تحتاج منا تأويلا ما يكسبها معنى.

وسنحاول من خلال مقالنا هذا أن نستغور أسماء أبطال رواية "اللص والكلاب" للروائي الشهير نجيب محفوظ باعتبارها أنموذجا راقيا في انتقاء أسماء أعلام تحمل في طياتها علامات مائزة ومحايثة تحيل على واقع اجتماعي أسود لمصر ما بعد ثورة الضباط الأحرار في عقد الخمسينيات من القرن الماضي، وهي تستثير فضول القارئ، وتدفعه إلى ركوب مغامرة التأويل من خلال ممارسة عملية الإسقاط على العالم الخارجي، الذي يحاكيه النص الروائي من ناحية أولى، وأيضا تشغيل آلية التفكيك اللغوي والصرفي والتركيبي والصوتي لجرد المميزات اللسانية التي يتسم بها هذا الاسم العلم من ناحية ثانية، كما يجدر بنا أيضا التساؤل عن الغاية أو الوظيفة التي يؤديها الاسم، ولماذا اختاره الكاتب من بين أسماء أخرى كثيرة كان بإمكانه اعتمادها.

**الكلمات المفاتيح:** علم السيميولوجيا، أسماء الأعلام، رواية اللص والكلاب، نجيب محفوظ

**Simiological reading in the names of the characters of the novel "thief and dogs"**

**Abstract :**

semiological reading in the names of the characters of the novel "thief and dogs"

The science of semiotics is a modern science that provided great services for critical studies in order to inhabit creative texts according to a new perspective and to interpret its connotations bearing deep cultural and visionary messages for its book. There is no doubt that the high-ranking writer selects his words very carefully to construct the blocks of his creativity step by step, so there is no room for tampering and chaos, the thing that made prominent critic Crolan Barth say that a word in the literary text is a sign, and therefore it needs us to interpret what makes it meaningful.

Through this article, we will try to take advantage of the names of the heroes of the novel “The Thief and the Dogs” by the famous novelist Naguib Mahfouz, as it is a sophisticated model in selecting names of flags bearing positive and modern signs that refer to a black social reality for Egypt after the revolution of the free officers in the fifties of the last century, which is It evokes the curiosity of the reader, and leads him to ride the adventure of interpretation by practicing the projection process on the outside world, which is simulated by the narrative text on the one hand, and also operating the mechanism of linguistic, morphological, structural and phonological analysis of the linguistic features that characterize this name on the other hand, as it is worthy of us Also, the question about the purpose or function performed by the name, and why the writer chose it among many other names that he could adopt.

**Keywords** : The semiological, the names of flags, Novel of the thief and dogs, Naguib Mahfouz

## تقديم

« إن الفن لا يعرف الضوضاء، إنه نظام محض»

رولان بارت

إن الإنسان كائن رمزي بامتياز، استطاع بفضل ذكائه وعقله وفطرته المتميزة أن يختصر العالم بشساعته وترامي أطرافه في مجموعة من العلامات اللغوية، التي مكنته من التعبير عن حاجياته، والتواصل بين أفراده، وتوثيق معارفه، وتشييد هذه الحضارة الإنسانية الممتدة في التاريخ والمسترسلة في المستقبل.

لقد أخضع الإنسان الطابع المركب لوجوده، الذي هو إفراز طبيعي لميراثه الثقافي، للدراسة والتحليل، وذلك رغبة منه في اكتشاف قواعد سلوكه الرمزي، وكان نتيجة ذلك ظهور علم السيميائيات الذي ستكون مهمته رصد وتتبع الدلالات، التي ينتجها الإنسان من خلال جسده ولغته وأشيائه ومكانه وزمانه، ذلك "أن الإنسان هو المنتج للمعاني، وهو مستهلكها، وهو أيضا ضحيتها الأولى والأخيرة"( سعيد بنكراد، السميائيات السردية، ٢٠١٥، ص ٥٣)، فأصبح مجال السيميائيات شاملا ومتشعبا، بحيث يشمل كل ظاهرة مهما كان نوعها، ما دام العالم الذي نعيش فيه غارقا في العلامات.

وفي هذا الصدد نشير بأن بروز السيميائيات كمنهج نقدي، له أدواته الإجرائية وجهازه الاصطلاحي وفلسفته المفهومية، لم يكن ليتحقق لولا الفشل النقدي الواضح الذي عرفته المناهج النصية المغرقة في الشكلانية والداعية إلى عزل النص عن سياقه المحيط به، حينما أدرك النقاد أن الممارسات النقدية المكتفية بالبنية السطحية والدلالات المباشرة للنصوص ليست كافية للإحاطة بالرسائل الشعرية الجمة التي يتضمنها الخطاب، فقُدمت السيميائيات "كحل سحري لكل ما استعصى على البنيوية من مشاكل نظرية وتطبيقية" (سعيد بنكراد، السميائيات السردية، ٢٠١٥، ص ٥٣)؛ وهو ما تقرره الناقدة البلغارية جوليا كرستيفا دون تردد في قولها: « إن النص ليس نظاما لغويا كما يزعم الشكلانيون الروس، وإنما هو عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة ومعقدة في إطار أنظمة اجتماعية ودينية وسياسية سائدة» (جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي، عدد ١٨، ص ١٢٢)، وبذلك عُدّت السيميائيات المنهج الواعد بتحقيق ما فشلت فيه المناهج اللسانية الأخرى.

ولا تعدو السيميائيات حسب فردناند دي سوسير أن تكون إلا دراسة العلامة وسط الحياة الاجتماعية ( فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ٢٠١٦)، ومن تم نستشف أن الخطاب الأدبي هو نسيج من العلامات المركبة والمعقدة التي يتوجب على القارئ المثالي أن يفك شفراته ويكشف أسراره ودلالاته الثقافية والاجتماعية لفهم البنية العميقة أو الرسالة المستبطَنة التي يبتغي إبلاغها؛ وعلى هذا الأساس فغاية أي تحليل هي مطاردة المعنى وترويضه، ورده إلى العناصر التي أنتجته (سعيد بنكراد: السميائيات السردية، ٢٠١٥، ص١٣ ).

يشير الناقد المغربي حميد لحميداني ( حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي لرواية المعلم علي نموذجا، ١٩٨٤) بأن أي أدب كان، لابد أن يحتوي على مدلول ما، وهذا المدلول لا بد أن يرتبط بقضية ما من القضايا التي تروج في الوسط الاجتماعي الذي ظهر فيه النتاج الإبداعي. ومن ثمة فإن العلامة الأدبية مهما تعددت وتعمقت لن تخرج عن السياق الثقافي الذي أنتجها، ولا عن عالم الواقع الذي تتغذى منه.

وإذا كانت العلامة عند سوسير علامة مجردة تتكون من الدال والمدلول، وتتجرد من الواقع والطابع الحسي والمرجعي، فإن العلامة عند ميخائل باختين ذات بعد مادي واقعي لا يمكن فصلها عن الإيديولوجيا، وفي نظره ليس كل علامة إيديولوجية ظلا للواقع فحسب، وإنما هي كذلك قطعة مادية من هذا الواقع. وبقراءة أخرى فالعلامة هي ماثول يحيل على موضوع عبر مؤول، وهذه الإحالة هي ما يشكل في نظرية برس ما يطلق عليه السميوز، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، وبعبارة أخرى، إن السيميوز هي المسؤولة عن إقامة العلاقة السيميوطيقية الرابطة بين الماثول والموضوع عبر فعل التوسط الالزامي الذي يقوم به المؤول. وعلى هذا الأساس فإن السميوز تتحدد باعتبارها سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاثة مستويات: ما يحضر في العيان، وما يحضر في الأذهان، وما يتجلى من خلال اللسان (بن كراد، سعيد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ٢٠٠٣، ص ٦١ ).

## ١- أهداف الدراسة

نرنو من خلال هذه الدراسة النقدية إلى إضاءة قضية جوهرية تغفل عنها أقلام كثير من الدارسين في مقاربتهم للنصوص الإبداعية الروائية، تتجسد في مسألة انتخاب أسماء الأعلام المناسبة للمقام الحكائي وما يقتضيه هذا الاختيار من خلفيات معرفية وسوسيوثقافية ترتبط بالفضاء المحكي عنه، وما يفترض أن تحمله هذه الأسماء من تشفير رمزي يتغيى إبلاغ رسالة أو توجيه سهام النقد أو تشييد موقف ما للمبدع إزاء القضية المسرود عنها.

## ٢- أهمية الدراسة

تكتسي هذه الدراسة أهمية بالغة بالنظر إلى جدة الموضوع من جهة أولى، ثم إلى ما تتبوأه رواية "اللص والكلاب" للأديب العالمي نجيب محفوظ المتوج بأكبر جوائز الأدب العالمية، فالرواية اكتسحت منذ عقود الساحة الثقافية العربية شرقا وغربا، واستطاعت النفاذ إلى كثير من البرامج التعليمية بالدول العربية من بينها برمجتها في السنة الختامية للبكالوريا الأدبية بالمغرب حيث تلقى إقبالا واسعا بين الطلاب والمربين لتدارس قضاياها الاجتماعية والنفسية وأبعادها الرمزية. ولعل من شأن هذه الدراسة أن تقدم إضاءة واضحة عن دلالات وبواعث اختيار نجيب محفوظ لهذه الأسماء العَلَمية لأبطال روايته وكشف منطق التضاد التي شيدت عليه.

## ٣- أسماء الأعلام بنياتها ومرجعياتها في الرواية العربية

يتناول فيليب هامون PH.Hamon اسم العلم في كتابه، "سيميولوجية شخصيات الرواية"(هامون، فليب، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ٢٠١٣)، ويعتبرها علامة سيميائية تتحدد دلالاتها ومقاصدها عبر السياقات النصية والذهنية، وذلك ضمن علاقات نصية بنيوية تفاعلية قائمة على التقابل والاختلاف والاستبدال. ويقوم اسم العلم بدور تمييزي للشخصية داخل المسار السردي والحكائي.

ISSN: 2706-6495

يحمل اسم العلم في طياته داخل السياق النصي أو الخطابي أو في معزل عنه مجموعة من الوظائف التي يمكن حصرها في الوظيفة التقريرية التعيينية، والوظيفة التضمينية الإيحائية، والوظيفة الأيقونية البصرية، ويمكن أن نستعين أيضا بالوظائف الأخرى التي حددها رومان جاكبسون[1] R.Jackobson ( JAKOBSON, R. Essais de linguistique générale, 1963) كالوظيفة الانفعالية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة المرجعية، هذا علاوة على وظيفة التشاكل الدلالي، وتحقيق الاتساق والانسجام، وتسهيل مأمورية القراءة والتلقي أثناء تفكيك النص وتركيبه.

وعليه، فالشخصية تتخذ من خلال اسمها دلالات ووظائف اجتماعية وإيديولوجية، وتعبر عن وضعية طبقية معينة، لأن اسم الشخصية عموما، إيحاء من شأنه إنارة جانب من القصة أو الرواية، وأحيانا قد يلمح إلى تطابق مع الوضعية النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية لهذه الشخصية، بدليل كون الطبقة الراقية في الحضر تختار أسماء معينة خلافا لأهل الأرياف المتمسكين بأسماء الأجداد والأسماء التاريخية. والرواية التاريخية حري بصاحبها أن يختار أسماء ترتبط بالمرحلة التي تقترن بها، وأيضا مرجعيتها الدينية والثقافية.

كما أن للاسم غنى في دلالاته، فقد يكون مبعث ذكرى أو رمزا عند الكاتب بالذات. ثم إنه يفصح عن جنس الشخصية (ذكر-أنثى)، وموطنها (عربية-أفريقية.)، ومعتقدها الديني، إلى غير ذلك من دلالات أخرى غير محصورة.

وهكذا، فالروائي وهو يعمد جاهدا إلى اختيار أسماء شخصياته، إنما يفعل ذلك لإثارة المتلقي، أو تخييب أفق انتظاره، أو مخاطبة عقله وذهنه وذكائه، ليتقبل عالم الشخصية، ويتعرف أدوارها السردية، ويستوعب وظائفها العاملية والتيماتيكية والكلامية، وذلك عبر امتدادات الرواية، وحسب إيقاعها السريع أو البطيء (الحمداوي، جميل، مقال سيمياء اسم العلم الشخصي في الرواية العربية).

وقد وظفت الرواية العربية الكلاسيكية ضمن مسارها التطوري مجموعة من الشخصيات التي تحمل أسماء علمية واضحة ومحددة دالة على شخصيات إنسانية مكثفة اجتماعيا وفيزيولوجيا ونفسانيا وأخلاقيا. وقد تأثرت في ذلك بالرواية الواقعية الغربية الكلاسيكية كما عند فلوبير، وستندال، وإميل زولا، وهونري بلزاك... التي اشتغلت على توظيف الأعلام الشخصية المرجعية الإحالية الغنية بالدلالات والسمات، وارتبطت بالوصف، والبورتريه، واللقب والكنية، وشجرة النسب؛ وعليه، فمن يتأمل الرواية العربية الكلاسيكية، فسيجد أنها توظف أسماء علمية كثيرة تارة، وتقتصد فيها تارة أخرى. بيد أن ما يلاحظ على هذه الأسماء غلبة المرجع الديني، كتوظيف زينب وحامد في رواية" زينب " لمحمد حسين هيكل، واستخدام علي، وحسن، وحسين، وحسنين، ونفيسة في رواية" بداية ونهاية" لنجيب محفوظ، وتوظيف إدريس في رواية "أوراق" لعبد الله العروي، وأيضا عبد الرحمن في رواية " دفنا الماضي" لعبد الكريم غلاب...إلخ.

---

**٤- الدلالات الرمزية في اختيار أسماء شخصيات "اللص والكلاب" لنجيب محفوظ:**

إن المتأمل في الإنتاج الروائي الضخم والغني الذي تركه الأديب العربي والعالمي نجيب محفوظ، ليجد تنوعا واختلافا في طبيعة أسماء الأعلام التي ظل الكاتب ينتقيها بحيطة وإمعان وبُعد نظر، فأسماء شخوصه في غالب الأحيان وليدة البيئة الاجتماعية والثقافية التي تنتمي لها هذه الشخوص، بل أكثر من ذلك عمد نجيب محفوظ إلى شحن هذه الأسماء بدلالات سيميائية ورموز إيحائية تجعل من الاسم في حد ذاته علامة متميزة، أو رسالة إبلاغية تستثير فضول القارئ، وتدفعه إلى ركوب مغامرة التأويل من خلال ممارسة عملية الإسقاط على العالم الخارجي، الذي يحاكيه النص الروائي من ناحية أولى، وأيضا تشغيل آلية التفكيك اللغوي والصرفي والتركيبي والصوتي لجرد المميزات اللسانية التي يتسم بها هذا الاسم العلم من ناحية ثانية، كما يجدر بالناقد أيضا التساؤل عن الغاية أو الوظيفة التي يؤديها الاسم، ولماذا اختاره الكاتب من بين أسماء أخرى كثيرة كان بإمكانه اعتمادها.

وإذا ما أمعنا النظر الآن في رواية " اللص والكلاب"، وتوقفنا عند أسماء أهم الشخصيات الموظفة فيها وهي: سعيد مهران ونبوية سليمان وعليش سدرة ورؤوف علوان ثم الشيخ علي الجنيدي والمعلم طرزان، بالإضافة إلى نور وسناء وبياضة، زيادة على المخبر حسب الله والضحية حسين شعبان، سنلفي أن هذه الأعلام ذات إيحاءات لغوية وصواتية مختلفة وعميقة، تتساوق إلى حد سحيق مع البنية العميقة الثاوية في النص، وتحمل في ثناياها أبعادا سوسيولوجية وابستمولوجية وسيكلوجية أيضا.

وإذا كان رولان بارت يصرح بأن «لكل شيء معنى، وإلا، فلا معنى لأي شيء» (بارت، رولان، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ص ٤١)، فإن غايتنا محاولة الإمساك بهذا المعنى الزئبقي التائه بين عوالم النص، وأيضا ربط وشائج الصلة بين الدوال ومدلولاتها المائزة، إذ يمكننا في البداية التمييز بين أعلام الذكور وأعلام الإناث، وبين الأسماء والألقاب وهذا أمر بيّن. ونسجل في المنطلق أن بعض هذه الأسماء مركبة، تشتمل على اسم ولقب، وأحيانا صفة اجتماعية ما، كالشيخ علي الجنيدي، وبعضها أتى مفردا دون لقب ودون صفة اجتماعية كنور وسناء.

من الناحية الصرفية نسجل حضورا بارزا لصيغة المبالغة "فعلان" التي طغت خاصة في اختيار الألقاب، ولا يمكن أن يأتي هذا الأمر عفويا، إذ نجد مهران وعلوان وسليمان وطرزان تبنى على نفس الصيغة الصرفية، فباستثناء لقب عليش الذي ورد على وزن (فعّيل)، للتأشير على صفة المبالغة التي وسمت أفعال وأدوار هذه الشخوص في الرواية، والمبالغة، في عرف البلاغيين، أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه (العسكري، أبو الهلال الحسن، الصناعتين الكتابة والشعر، ص٦).

ولعل من شأن الدراسة الدلالية لهذه الأسماء المختلفة أن تمكننا من الاقتراب أكثر من عوالم هذه الشخوص وتكشف لنا عن بنيتها العميقة. فاسم سعيد مهران، بطل رواية "اللص والكلاب"، ينم عن دلالات سيميائية عميقة مشيدة بالأساس على منطق التناقض أو على الثنائية الضدية، وهو ذو ارتباط بالوسط الاجتماعي والثقافي للرواية، واسم سعيد من الأسماء العربية العريقة والشائعة في البيئة المصرية خاصة والعربية عامة.

إن اسم سعيد مهران باعتباره علامة لغوية أو لسانية تحيل على السعادة والفرح والاطمئنان النفسي في السياق اللغوي، لكنه في السياق السوسيوثقافي للرواية يعيش البطل أزمة ما فتئت تشتد،

وتضيق به السبل من كل ناحية، فسعيد مهران عاش ويعيش شقاء سرمديا متواصلا، عان الفقر والحرمان واليتم والانقطاع المبكر عن الدراسة، عان كذلك الخيانة في شتى ألوانها الزوجية والاجتماعية والأيديولوجية. فكيف لهذه الشخصية أن تكون سعيدة؟ وكيف تنفذ السكينة إلى قلبها؟ وصدرها نار مشتعلة بالغضب تحرق الأخضر واليابس؛ فهو لا يملك شيئا، ولهذا لم يجد سعيد غضاضة في أن يمتهن السرقة في مجتمعه، وقد أقدم على أول سرقة في غضون شهر من مرض أمه (محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ١٥٨)؛ ومن يومها لم يكف سعيد عن القراءة والسرقة، القراءة: للإعداد للمستقبل، والسرقة للتعامل مع أخطاء وضعه الراهن (محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ١٥٨)، وسعيد مهران آخر الأمر من أبناء الطبقة الدنيا التي لا يزال مصيرها معلقا بأيدي اللصوص من أبناء الطبقة العليا (إبراهيم، عبدالرحمان، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ١٩٧٦، ص ١٦٧).

هذا من ناحية الاسم الشخصي للبطل، أما اللقب (مهران) فهو يحيل على المهارة والخفة والحذاقة، الأمر الذي يعكس تناقضا آخر، فسعيد مهران كما تقدمه الرواية بطل فاشل، فرغم النجاح النسبي في خلق حياة أسرية مستقرة قبل ولوج غياهب السجن، فقد فشل مهران في مفاوضة أعدائه، كما فشل أيضا في مخططه الانتقامي، لينتهي به الأمر محاصرا في مقبرة، فلم يجد حينئذ مفرا من الاستسلام، "الاستسلام بلا مبالاة" (محفوظ، نجيب، رواية اللص والكلاب، ص ١٤٣).....مودعا هذا العالم الانتهازي الفاسد الذي هيمنت فيه قيم الزيف والانحلال والظلم واللامساواة والسعي وراء المصالح الشخصية، فلا" أمل له في الهروب من الظلام بالجري في الظلام"(محفوظ، نجيب، رواية اللص والكلاب، ص ١٣٩)، نجا الأوغاد وحياتك عبث.

أما نبوية سليمان فهي شخصية محورية في الرواية تتمظهر في صورتين مختلفتين: صورة المرأة الساذجة المحبة الصالحة قبل عملية الخيانة، وصورة المرأة الماكرة والناكرة للجميل، فتتحول في عيني البطل إلى امرأة فاسقة وجثة نتنة لا يوارها تراب على حد تعبير السارد. فاسم نبوية باعتباره علامة اجتماعية مائزة، اسم علم مشتق من النبوة كدلالة على الإخلاص والأمانة والعفة التي هي سمة الأنبياء والرسل.

هذه المرأة التي أغرم بها سعيد البطل، وتواعدا معا على الإخلاص لبعضهما تحت النخلة الوحيدة في الحقل، التي كانت ملتقى الحبيبين قبل إبرام عقد الزواج. لكن نبوية الزوجة المخلصة الطاهرة سرعان ما تغير غشاءها كالأفعى لترتمى في أحضان العشيق عليش وتخون الزوج المغرم بها، وتتنكر لكل تضحياته في إسعادها؛ فتغدو على النقيض من الاسم الذي تحمله رمزا للخيانة والغدر والفساد الأخلاقي والقيمي لهذه الزوجة الوضيعة التي لم تعد لسعيد مهران ثقة في جنسها كله، بل ويضيف" سحقا لمن يطرب لأنغام امرأة"(محفوظ، نجيب، رواية اللص والكلاب، ص ١٢).

هذا الحدث الروائي المرتبط بخيانة الزوجة أحالني إلى حد بعيد على حادثة مبايعة الأنصار للرسول (ص) تحت الشجرة وأخلصوه الوعد وضحوا بأنفسهم في سبيل نصرته ونصرة دين الإسلام، على النقيض من ذلك نبوية تَعِد سعيد تحت النخلة وتنقض الوعد.

أما اختيار لقبها "سليمان" الذي يدل من الناحية اللغوية على رجل السلام، وهذا الاسم اشتهر به النبي سليمان، أحد أنبياء بني إسرائيل، ولفظه العبري: شِلومو. لنكتشف مرة ثانية أن هذا الاسم مشيدة على فلسفة التناقض والتضاد،

فدلالة الاسم المرتبطة بالنبوة والإخلاص والشرف والمكانة السامية في واد، بيد أن السمات الشخصية لهذه البطلة في الرواية تصب في واد آخر، مليء بالانتهازية والخيانة والغدر.

ننتقل بكم إلى الشخصية الثالثة، وهي ذات حضور وازن في الرواية، ألا وهي، عليش سدرة، يجسد شخصية أحد أعوان البطل، ويبقى اسم عليش سدرة من بين الأسماء ذات الإحالة المباشرة، إذ ورد في تاج العروس، كما في لسان العرب، في باب علش: العِلَّوْشُ، الذئب، وقال ابنُ الأَعْرَابِيّ: هو ابنُ آوَى (الزبيدي، محمد المرتضي، تارج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، باب علش). وهو فعلا ذئب حقيقي في اقترانه بأحداث الرواية التي تقدمه كتابع وعون من الأعوان الذين كان سعيد مهران يثق فيهم ثقة عمياء، ولعب دور الصديق، لكن لم يكن صديقا على الإطلاق، يقول سعيد مهران عنه: "وأعجب شيء أني خدعت به وأنا الذكي... كنت البطل وكان يحبني ويتملقني ويتجنب غضبي ويلتقط فتات العيش" (محفوظ، نجيب، رواية اللص والكلاب، ص ٨٢).

هذا هو عليش (الذئب) كما صوره مهران بحكم العلاقة التي كانت تربط بينهما، والتي استغلها ليخون مُعلمه وسيّده مع زوجته "نبوية"، ويشيان به للشرطة، ثم يتزوجا من ورائه ويستوليا على ممتلكاته. وعندما واجهه مهران بخيانته، اعتبر ذلك واجبا ومروءة؛ "لم أرتكب جريمة، ولكنها القسمة والنصيب والواجب أيضا، واجب المروءة دفعني إلى ما فعلت" (محفوظ، نجيب، رواية اللص والكلاب، ص ١٢).

ويحمل لقبه "سدرة" بحسب المعاجم أكثر من معنى، فالسدر: شجرة النبق، واحدتها سدرة، ... وهو ذو شوك (ابن منظور: لسان العرب، مادة سدر)، وبذلك اختيار هذا اللقب، في اعتقادي، مشيد على مقصدية من لدن الكاتب، فهو إنسان مؤذ، أفشل مخطط سعيد في تحقيق العدالة، وهو انتهازي ووصولي مثله مثل طبقته من الخونة، صبّ سعيد في حقه وابلا من السباب والتحقير (خفساء – جبان-فيل- جرب الكلاب- العقرب – الدودة- ابن الافعى...)، حتى صار من منظوره كل من" نبوية عليش، كيف انقلب الاسمان اسما واحدا؟( محفوظ، نجيب، اللص والكلاب، ص ٧).

أما رؤوف علوان، الشخصية الرابعة في الرواية، فاسمه من الرأفة والرحمة والعطف وهو أحد أسماء الله الحسنى، لكن على النقيض من خصال حامل هذا الاسم، فهو إنسان مادي وانتهازي، لا تستقر الرحمة في قلبه، فقد أدار ظهره لصداقته بالبطل، وتخلى عنه في المواقف العصيبة بعد خروجه من السجن، بل أكثر من ذلك أشاع عنه الكثير من الأخبار الزائفة في جريدة الزهرة، وحرّض الشرطة والرأي العام على مطاردته.

ولقبه علوان من العلو والسمو، وهي الصفة الراسخة التي كانت تنطبق عليه، فهو رمز للانتهازية المصرية الصاعدة في فترة الخمسينيات من القرن الماضي، التي كانت تبيح لنفسها جميع الوسائل المادية والإعلامية واللاقانونية سيعا إلى الارتقاء الاجتماعي، ولو على حساب الطبقات المهمشة والفقيرة. وقد أومأ المؤلف إلى نقطة اللقاء بين الرائد والمريد حينما جعل اسم علوان مقاربا لوزن مهران (محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ١٥٨). ذهب سعيد إلى أستاذ الثورة القديم، فوجد نفسه أمام لغز كبير، لقد سكن علوان في قصر من القصور التي كان يحارب أصحابها قديما، وقد أصبح صحفيا بادي النفوذ، موغلا في السلطة وينعم بخيراتها وحمايتها، إذ يعلق سعيد في هذا الشأن أن " الحكومة تتحيّز لبعض اللصوص دون البعض"(محفوظ، نجيب، اللص والكلاب، ص ٩٣).

وبخصوص الشيخ علي الجنيدي، فالشيخ صفة اجتماعية دينية تحيل على الوقار، واسم "علي" رجل متصوف ومتعبد تعالى عن ملذات الدنيا الفانية، وانكب على العبادة والتضرع لله صباح مساء، وهو شخصية تصوره الرواية في صفة متعبد وزاهد يجتمع في زاويته عدد هام من المريدين والأتباع الذين يقتضون بطريقه، ويهتدون بأوامره.

واسم الجنيدي لقب استقاه نجيب محفوظ من تاريخ التصوف الإسلامي، فالجنيد شخصية حقيقية يعد من كبار شيوخ الطرق الصوفية بالعالم العربي، واسمه الجنيد بن محمد أبو القاسم الخراز القواريري ( ت ٢٩٧هـ)، عاش بالعراق وصاحب الإمام الشافعي، وتشبّع بمذهبه حتى صار أحد أقطاب الصوفية الكبار، «ويعتبر الجنيد عند علماء التصوف سيد هذه الطائفة، ومقدم هذه الجماعة، وإمام هذه الخرقة، وشيخ طريق التصوف» (الجنيد، الأمام أبو القاسم، رسائل الجنيد، ص ١). وبذلك يتضح أن الربط بين الاسمين وليد دلالة ورمزية عميقة، تحيل على عالم المتصوفة بكل طقوسه المهابة وانعزاليته الموحشة، وكأن نجيب محفوظ يوجه سهام النقد لغياب القيم الدينية في المجتمع، وانعزال رجال الدين عن قضايا الحياة، ومصائر الشعوب، فسادت قيم الانتهازية والاستغلال البشع للمال والفساد لتكريس وضع اجتماعي معين.

وتبقى شخصية "نور" منارة هذا القلب المتعمد للأسماء، وهذا المربع السيميائي المشيد على التناقض، فهي امرأة وحيدة ضحية مجتمع شهواني، تحمل في قلبها النور والحنان والحب للبطل، وسعت جاهدة وراءه دون جدوى، قصت عليها الظروف الاجتماعية البائسة التي عاشتها فارتمت في ظلمات الرذيلة وسواد الليالي لكسب لقمة العيش. فينطفئ قبس النور وتخفق نبضات الظلام والظلم والكآبة في حياة هذه الشخصية التعيسة والمسلوبة الحقوق في مجتمع فاسق يلهث وراء المتعة والجسد. وترى الباحثة فاطمة محمد سعيد، أن محفوظ كان يكثر من الاستخدام الرمزي لنموذج المرأة الساقطة والعاهر نتيجة ظروف اجتماعية قاهرة بغرض كشف فساد وسلبيات المجتمع. وقد فسر محفوظ هذا الاستخدام قائلا: المرأة الساقطة تنفع الناقد الاجتماعي جدا لأنك تواجه بها شخصيات بارزة ظاهرها وباطنها الدعارة، بينما هذه ( المرأة) ظاهرها الدعارة وباطنها يمكن أن يكون البؤس، ولهذا فهي مثال صالح للنقد القاسي (محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ٤٥). وتتقاسم نور مع سعيد كثيرا من الصفات فهي مثله منبوذة من المجتمع، وتعيش حياة الضياع والقهر، وهذا النموذج يعبر في أدب نجيب محفوظ دائما عن مسؤولية المجتمع عن خلق مثل هذه النماذج ( محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ١٦٥) .

أما بخصوص تسمية المعلم طرزان، الذي لعب دور الداعم والحاضن لمخططات البطل، فاسمه يتألف من شقين، المعلم، وهي صفة اجتماعية ترتبط بعالم الشغل في الأوراش التقليدية، فتضفي هالة من الخبرة والمعرفة الشعبية على أصحابها، في حين تحيل كلمة طرزان على لفظ أجنبي عن الثقافة العربية، فهو شخصية خيالية ظهرت لأول مرة في أكتوبر ١٩١٢ برواية طرزان القردة للمؤلف الأمريكي Edgar Rice Burroughs (1875 - 1950) ، وحققت الرواية في حينها نجاحا بالغا، ويعتبر البعض شخصية طرزان واحدة من أشهر الشخصيات الخيالية، حيث ظهر طرزان بعد نشر الرواية في أفلام وكتب الأطفال وبرامج تلفزيونية وإذاعية ودعايات للبنزين ولعب الأطفال والملابس الداخلية والأحذية الرياضية، ذاع صيت هذه الشخصية الروائية لدرجة أن البعض كان مقتنعا أن طرزان هو شخصية حقيقية .

فاسم طرزان إذن، اسم ذو حمولة أجنبية، وهو دلالة على القوة والشجاعة في الانخراط في الثورة التي يقودها سعيد ويؤمن بها، لذا كان في مقدمة مسانديه، فكان يخبره بكل المستجدات والوقائع الخارجية، وهو من زوده بالسلاح (المسدس)، وظل يخفيه عن عيون الشرطة التي تترصده، ويطعمه أيضا كلما ضاقت به الأحوال.

غير أن نقطة الضوء الوحيدة في أسماء رواية اللص والكلاب تكمن في سناء، سناء الأمل، وسناء المستقبل، ففي الحديث " بشر أمتي بالسناء " (القرني، عائض، بين منازلة الشعراء ومدح خير الأنبياء، ١٤٢٢، ص ٢٢٢)، أي بارتفاع المنزلة والقدر عند الله. وقد سني يسنى سناء أي ارتفع، لذا فاسمها يتساوق مع وظيفتها في الرواية التي ظلت ذلك الأمل والإشراق الوحيد الذي يتمنى سعيد أن يكافح من أجله في هذا العالم المظلم المفتقد للقيم،" ومن خلال هذا الكدر المنتشر لا يبسم إلا وجهك يا سناء" (محفوظ، نجيب، اللص والكلاب، ص ٨).

وفيما يخص المعلم بياضة، صاحب القلب الأبيض، وهو وسيط اجتماعي لحل المشاكل، وإذابة المسافات بين المتنازعين وتقريب وجهات النظر بين الأعداء، على عكس المخبر حسب الله، الذي تقدمه الرواية على أنه شخص يشكل امتدادا للسلطة والتملق، إذ سرعان ما جنح إلى "مجموعة الكلاب" لحمايتها من نظام العدالة، فآزر عليش ونبوية ضد سعيد مهران؛ والمخبر كلمة ذات حمولة بوليسية ترتبط بجهاز المخابرات الأمنية في نظام الدولة. ومن هذه الزاوية فهو يكرس تبعيته لهؤلاء الخونة الذين خانوا مبادئهم، وانتقلوا من مصاف الجماهير إلى جهاز السلطة الحاكمة، تلك الطبقة التي كانوا يحاربونها قديما (محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص ١٥٧).

ويبقى حسين شعبان "الضحية" سميوزا مشبعا بالحمولة الدلالية العميقة، فاختيار هذا الاسم من طرف محفوظ ليس بريئا، إذ يرمز من ناحية للشعب الذي اكتوى من جرائم النظام وتعسفاته ومخططاته الفاشلة، ومن ناحية أخرى يحيل على البراءة والصفاء كونه يسفك دمه هباء في أمر لا دخل له فيه، فيما "حسين" اسم له خلفيات ومرجعيات دينية تحيل على ابن علي بن أبي طالب الذي قتل غدرا، ودون سابق إنذار، " فالمجرمون ينجون، ويسقط الأبرياء" (محفوظ، نجيب، اللص والكلاب، ص ١٦٢).

## ٥- الخاتمة

وعليه، نستنتج أن تسميات شخوص وأبطال رواية اللص والكلاب تحميل دلالات رمزية متينة، نابعة عن قصدية أدبية وإبداعية للروائي المصري المتوج بجائزة نوبل للأدب، والتي شيدها في الغالب على ثنائية التناقض paradoxe سعيا ربما إلى فضح زيف قيم الواقع السياسي المصري إبان حكم الضباط الأحرار الذين يدّعون أشياء، ويعمدون في الخفاء إلى إرساء نقيضها، ومن تم نستشف أن اتجاه الأديب إلى الرمز قصدا أو قسرا قد استدعته ظروف اجتماعية وسياسية ذات حساسية، فرضت على محفوظ الأديب أن يتخفى وراء سلطة الرمز لتعبير عن وجهة نظره، ودون الاصطدام مع السلطة وأيضا للإفلات من المحاسبة والانتقام، خاصة إذا عرفنا أن زمن تحبير الرواية تصاعدت فيه سياسة القمع والاعتقالات.

وأختم بالقول أن رواية اللص والكلاب أيقونة سردية فريدة، تحمل جل تفاصيلها وجزئياتها دلالة سيميائية تحيل على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي لمصر في زمن إنتاجها، وهي أيضا رسالة مشفرة للضباط الأحرار الذين زاغوا عن الوعود الوردية والأحلام البراقة التي تعاقدوا مع الشعب المصري عليها خلال بداية الخمسينيات من القرن الماضي، كما أنها توجيه تصحيحي لإحياء المطالب الشعبية بتبني النهج الاشتراكي وإرساء لبنات المساواة والعدالة الاجتماعية،

ولا غرو أن نجيب محفوظ سيظل الروائي المتميز الذي صور الحياة المصرية بشكل خاص والعربية بشكل عام، تصوير فنان مقتدر ومبدع، لذلك فإن أعماله السردية كانت ولا تزال حدثا أدبيا بارزا في تاريخ النهضة الفكرية الحديثة.

## ٦- المصادر والمراجع:

- ابن منظور، محمد، لسان العرب، مادة سدر.

- إبراهيم، عبدالرحمان، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب، ط ١، ١٩٧٦.

- بارت، رولان، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة مندر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٣.

- بن كراد، سعيد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٣.

- بنكراد، سعيد، السميائيات السردية، منشورات الزمن، العدد ٢٩، الطبعة الثانية، يناير ٢٠١٥.

- الجنيد، الأمام أبو القاسم، رسائل الجنيد، تحقيق علي حسن عبدالقادر ، منشورات برعي وجدي القاهرة، ١٩٨٨.

- فليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، تقديم عبد الفاتح كيلطو، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٣.

- كريستيفا، جوليا، مجلة الفكر العربي، عدد ١٨.

- الحمداوي، جميل، مقال سيمياء اسم العلم الشخصي في الرواية العربية، صحيفة المثقف، العدد: ١٥٨١ الجمعة ١٩ /١١/ ٢٠١٠.

- الزبيدي، محمد المرتضي، تارج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، باب علش.

- العسكري، أبو الهلال الحسن، الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩.

- القرني، عائض، بين منازلة الشعراء ومدح خير الأنبياء، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢.

- دي سوسير، فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبدالقادر قنيني، منشورات إفريقيا الشرق، ط٣، ٢٠١٦.

- لحميداني، حميد، من أجل تحيليل سوسيوبنائي لرواية المعلم علي نموذجا، منشورات الجامعة، الدار البيضاء، ١٩٨٤.

- محفوظ ، نجيب، رواية اللص والكلاب، مكتبة مصر ، الفجالة، د.ت.

- محمد سعيد، فاطمة الزهراء، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، ١٩٨١.

-JAKOBSON, R. Essais de linguistique générale, Paris, Éditions de Minuit, 1963 .

ISSN: 2706-6495

جميع الحقوق محفوظة 2020 ©، الباحث عبدان عبد الفتاح، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)